البعد الاقتصادي للتنمية المستدامة من منظور السنة النبوية

أ. د. ميلود زنكري
أستاذ باحث في الاقتصاد والمالية الإسلامية
جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج – الجزائر

أ. د. سميرة سعيداني
أستاذة باحثة في الاقتصاد والمالية الإسلامية
جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج – الجزائر

ملخص

هدفت الدراسة إلى محاولة تبيان الهدي النبوي في المجالات الاقتصادية ذات الصلة بالتنمية المستدامة، خاصة وأن التوجه نحو التنمية المستدامة أخذ أهمية كبيرة، ومكانة بارزة في برامج وسياسات الدول باعتبارها من القضايا التنموية المعاصرة التي استحدثت في ظل التحديات التي صاحبت البحث عن تحقيق التوازن بين التنمية والرفاهية للأجيال الحالية من جهة، وعدم المساس بحق الأجيال القادمة في العيش الكريم والتنمية من جهة أخرى.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: عناية السنة النبوية بمختلف الجوانب الاقتصادية التي تسهم في تحقق التنمية المستدامة من خلال توجيه الأفراد والجماعات للتعامل مع البيئة والموارد الطبيعية بما لا يلحق الضرر بالإنسان أو الكون، حيث إن السنة النبوية تضمنت أحاديث كثيرة أسست لقيم إنسانية تتسم بالربانية والشمولية والتوازن، وتتميز بالثراء والتعدد والتنوع، وهي تهدف إلى ضبط تعامل الأفراد والجماعات بمجموعة من المبادئ والأخلاق التي تراعي الصالح العام، وتحافظ على البيئة ومواردها، وغيرها من القيم التي سيكون لها دور في الوصول إلى تحقيق أهداف التنمية المستدامة، خاصة إن كان هناك وعي وإدراك بأهمية استثمار هذه القيم بما يسهم في تحسين حياة الإنسان دون الإضرار بالنظم البيئية، وذلك عن طريق توجيه الإنسان للأخذ بهذه القيم في أنشطته الإنتاجية والتجارية، وأنماطه الاستهلاكية، وبما يحقق عمارة الأرض والمحافظة على مواردها وخيراتها.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، التنمية المستدامة، البعد الاقتصادي، البيئة، عمارة الأرض.

Abstract

This study aims to highlight the Prophetic guidance in economic aspects related to sustainable development, especially given the growing importance and prominent position of sustainable development in national policies and programs. It has become a key contemporary developmental issue, emerging in response to the challenges of balancing the well-being of present generations with the preservation of future generations' right to a dignified life and continued development.

One of the key findings of this study is that the Prophetic Sunnah pays great attention to various economic aspects that contribute to achieving sustainable development. It does so by guiding individuals and communities to interact with the environment and natural resources in a way that prevents harm to both humanity and the universe. The Sunnah contains numerous hadiths that establish divinely inspired, comprehensive, and balanced human values characterized by richness, diversity, and inclusivity. These values regulate the behavior of individuals and societies based on principles and ethics that uphold the public interest, protect the environment and its resources, and contribute to achieving sustainable development goals. The realization of these goals depends on raising awareness and understanding the importance of utilizing these values to improve human life while safeguarding ecological systems. This can be accomplished by encouraging individuals to incorporate these principles into their productive and commercial activities, as well as their consumption patterns, thereby ensuring the proper stewardship of the earth and the preservation of its resources and blessings.

Keywords: Prophetic Sunnah, Sustainable Development, Economic Dimension, Environment, Stewardship of the Earth

مقدمة

الهدي النبوي الشريف أسس لغايات ومقاصد شرعية تحقق تنمية مستدامة بمفهوم إنساني راق سابق لما انتهى إليه الفكر الإنساني، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ» (أخرجه البخاري ومسلم)، وقوله ﷺ: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا» (أخرجه أحمد).

فهذان الحديثان بكلمات قليلة واضحة، كثيرة المعاني، جمعا عدة مقومات أساسية اهتدت إليها البشرية في وقتنا المعاصر، والتي يتطلبها تحقيق تنمية مستدامة تسهم في تحسين الظروف المعيشية للأفراد والمجتمعات بوسائل وأساليب لا تستنزف الموارد الطبيعية وتلبي احتياجات الجيل الحالي، ولا تهدر حقوق الأجيال القادمة.

فخدمة البيئة معتبرة في شرعنا بالزرع والغرس والرعاية ولو في الحالات الصعبة، كما أن الإنسان مطالب بالحفاظ على موارد الطبيعة باستعمالها بالقدر الذي يحتاج إليه، وبالعمل على تجديدها وعدم استنزافها، والتعايش بانسجام مع كافة المخلوقات الأخرى.

تعامل الأفراد والمجتمعات في الإسلام يستند إلى مجموعة المبادئ المستمدة من مصادر التشريع الإسلامي، حيث اعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية الإنسان بطاقاته وقدراته محور عملية التنمية، والقائم بمهامها، والمكلف بمسؤوليتها، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ هود [61]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ البقرة [30] وقال رسول ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيها، فَيَنْظُرُ كيفَ تَعْمَلُونَ» (أخرجه مسلم).

إن توجيه السنة النبوية لتعامل الأفراد مع البيئة والموارد الطبيعية شمل كل نشاط مشروع ومقصود، فردي أو جماعي يؤدي إلى إيجاد خدمة أو سلعة مباحة وتقديمها إلى الأفراد قصد إشباع رغباتهم بما لا يلحق الضرر بالإنسان أو الكون، ويحقق عمارة الأرض والمحافظة على مواردها، قال رسول الله ﷺ: «لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ» (أخرجه ابن ماجه ومالك والبيهقي).

المحافظة على الموارد الطبيعة وضمان ديمومتها من أهم مقومات وأسس التنمية المستدامة وفق ما حددته الأمم المتحدة، والحفاظ عليها من موجبات الاستخلاف الذي

يحقق عمارة الأرض، وقد اعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هذه الموارد من الطيبات من الرزق التي هيأها الله للإنسان، وسخرها له ليمكنه من الحياة والعمل في الأرض، وبالرجوع إلى النصوص الشرعية نجد أن الحفاظ على هذه الموارد من موجبات هذا الاستخلاف، وقد دل على ذلك آيات القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ ابراهيم [32، 33]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الجاثية [13].

وفي السنة النبوية الشريفة عدة أحاديث تدعو إلى الحفاظ على الطبيعة والموارد الحيوانية والنباتية، قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ إِنْسَانٍ يقتُلُ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ عَنْهَا» (أخرجه النسائي والحاكم والبيهقي)، وقال ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَريقٍ اشْتَدَّ علَيْهِ الْعَطشُ، فَوجد بِئرًا فَنزَلَ فِيهَا فَشَربَ، ثُمَّ خَرَجَ فإذا كلْبٌ يلهثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ العطشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَملأَ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَه بِفيهِ، حتَّى رقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَه فَغَفَرَ لَه. قَالُوا: يَا رسولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِم أَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبةٍ أَجْرٌ» (أخرجه البخاري ومسلم).

الموارد المختلفة التي سخرها الله سبحانه وتعالى للإنسان يجب عليه أن يعي أهمية الحفاظ عليها من منطلق الحفاظ على حياته على وجه الأرض، والإنسان ذاته يعتبر موردًا بشريًا يقف على قمة هرم الموارد الأخرى، فنجد مكانته في الهدي القرآن والهدي النبوي أغلى وأثمن مورد، قَالَ تَعَالَى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا الإسراء [70]، وقد ورد في السنة النبوية ما بيّن تكريم الإنسان على سائر الخلق قال رسول الله ﷺ: «سجدَ وجهي للَّذي خلقَهُ، وشقَّ سمعَهُ وبصرَهُ، بحولِهِ وقوَّتِهِ فتبارَكَ اللَّهُ أحسنُ الخالقين» (أخرجه الترمذي وغيره) هذه النصوص الشرعية تهدينا إلى الطريق الصحيح للتعامل مع المورد البشري وتعطينا المثل الأعلى في احترام الإنسان ودفعه لتوظيف قدراته وإمكاناته الجسمية والعقلية والنفسية والروحية وطاقاته لعمارة الأرض.

وعلى هذا الأساس فإن موضوع هذه الدراسة سيكون محاولة لتبيان الهدي النبوي

في المجالات الاقتصادية ذات الصلة بالتنمية المستدامة، وتبيان توجيه النبي ﷺ للسلوك الاقتصادي للأفراد والجماعات في مختلف الأنشطة التجارية والزراعية والصناعية والبيئية والاجتماعية بما يحقق عمارة الأرض والمحافظة على مواردها وخيراتها.

وبالرجوع إلى الدراسات السابقة في التنمية المستدامة في السنة النبوية نجد عدة دراسات تناولت الموضوع من عدة جوانب، نجد بعضها ركز على الجانب التأصيلي لمفهوم التنمية المستدامة في السنة النبوية، في حين دراسات أخرى ركزت على جزئية في التنمية المستدامة وحاولت التأصيل لها في السنة النبوية، وغيرها من جوانب معالجة الموضوع، وفيما يلي نذكر أهم الدراسات السابقة وذات الصلة بموضوع دراستنا:

- دراسة (فراس بن ساسي)، بعنوان «التنمية المستدامة في السنة النبوية»، رسالة ماجستير، جامعة الزيتونة تونس، 2017/2018م.

تضمنت هذه الدراسة أربعة فصول، ركز الفصل الأول على دراسة التنمية الاقتصادية المستدامة في السنة النبوية من خلال تأصيل المفاهيم الأساسية المرتبطة بالتنمية الاقتصادية المستدامة، أما الفصل الثاني فقد فصّل في التنمية الاجتماعية المستدامة في السنة النبوية، وتضمن الفصل الثالث التنمية البيئية المستدامة في السنة النبوية، وتم تخصيص الفصل الرابع لبحث المسالك النبوية في التفاعل مع عوائق التنمية المستدامة، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي تميّز السنة النبوية بشمولية ماهية التنمية المستدامة، ومواكبتها لواقع حياة الناس، وقدرتها على التفاعل مع مستجداته ونوازله شريطة التنزيل السليم والتوظيف المناسب.

- دراسة (بوبكر عبد الله الخرمان)، بعنوان «التنمية المستدامة في السنة النبوية دراسة تأصيلية»، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، 2017/2018م.

هدفت الدراسة إلى محاولة لتأصيل التنمية المستدامة والتي أصبحت من القضايا المعاصرة التي يحتاجها المجتمع الإنساني، وإظهار عناية السنة النبوية بالتكامل بين مجالات التنمية المستدمية (البيئية والاجتماعية والاقتصادية)، ومساعدة القائمين على تطبيق التنمية المستدامة في شتى المجالات، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي أن التنمية المستدامة في السنة النبوية تهدف إلى احترام البيئة المحيطة بالارتكاز على مبادئ الاستخلاف وعمارة الأرض، وتحقيق العدالة الاجتماعية من خلال نموذجيي الزكاة

والميراث، وتمكين الفرد الصالح بالاعتماد على الإيمان والعلم والأخلاق والانتماء والأمن، وبالاعتماد على العلم، من حيث نوعيته وغايته، وعلى الارتباط النفسي بالبيئة والمجتمع والثروات المحيطة، وعلى الالتزام الأخلاقي تجاه كل ما يحيط بالإنسان.

- دراسة (محمد عبد القادر الفقي)، بعنوان «ركائز التنمية المستدامة وحامية البيئة في السنة النبوية»، بحث مقدم للندوة العلمية الثالثة حول «القيم الحضارية في السنة النبوية» كلية الدراسات الإسلامية العربية، دبي، 2007.

البحث هو محاولة لدراسة موضوع من الموضوعات التي لها صلة مباشرة بالاقتصاد العالمي، وعلوم البيئة، والتشريعات المختلفة، بما فيها التشريع الإسلامي، وهو موضوع التنمية المستدامة، ومن المعروف أن هذا النمط من أنماط التنمية يُعَدّ إحدى الغايات التي تسعى دول العالم قاطبة في القرن الحادي والعشرين الميلادي إلى الوصول إليها، واتخاذ كل التدابير اللازمة لتحقيقها، باعتبار أنها الوسيلة المثلى لتحقيق التقدم الحضاري المنشود بشتى صوره (اقتصاديًا، واجتماعيًا، وبشريًا)، ومن أهم توصيات البحث إعادة قراءة السنة النبوية من منظور عصري لاستخلاص المبادئ والأفكار التي تفيد في حل قضايا التنمية المستدامة المعاصرة والمحافظة على البيئة وثرواتها.

- دراسة (عادل راشد مناحي الدماك)، بعنوان «دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة»، بحث منشور في مجلة القراءة والمعرفة، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، مصر، المجلد22، العدد 254، 2022م.

تضمنت الدراسة تبيان دور السنة النبوية في تحقيق الأهداف السياسية والأهداف الاقتصادية والأهداف الاجتماعية للتنمية المستدامة، وتوصلت الدراسة إلى أن التنمية المستدامة في المفهوم الإسلامي تتمثل في السعي للارتقاء بحياة الناس ماديا وروحيا بما يسعدهم في الحياة الدنيا والآخرة، وفق السنن التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الحياة، من غير إفساد أو إضرار أو إهدار للموارد، وبما يضمن حظوظ الأجيال كلها حاضرها ومستقبلها حتى يتحقق لهم التكريم اللائق بهم.

- دراسة (عودة راشد الجيوسي)، بعنوان «الإسلام والتنمية المستدامة رؤى كونية جديدة»، كتاب صادر عن مؤسسة فريدريش ايبرت، مكتب عمان، الأردن، 2013م.

انطلقت هذه الدراسة من أن مبادئ الإسلام تمثل نظرة عالمية شاملة وطريقة حياة

تهتم بتنظيم العلاقات بين البشر، من جهة، وبين البشر والطبيعة من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس تحاول الدارسة وضع بعض المبادئ والمفاهيم الإسلامية في التنمية المستدامة في مختلف المجالات من الثقافة إلى الاقتصاد وعلم البيئة والتعليم، وتوصلت الدراسة إلى أن الحضارة والثقافة الإسلامية أعادت تعريف مفهوم الحياة الطيبة على النحو المبين في مفاهيم مثل الزهد، الذي يعني الاكتفاء والعيش برفق على الأرض، والإحسان الذي عني بالجمال والتميز الداخلي، عكس أنماط الحياة ومستوى المعيشة وأنماط الاستهلاك الغربية التي أدت إلى آثار بيئية كبيرة من هدر الغذاء والطاقة والسلع.

ومن خلال استعراض الدراسات السابقة يتبين اختلاف المداخل التي تم من خلالها دراسة التنمية المستدامة في السنة النبوية، فقد ركزت بعض الدراسات على أحد أبعاد التنمية المستدامة وحاولت أن تبين كيفية تجسيد هذا البعد انطلاقا من توجيهات الهدي النبوي الشريف، ولهذه الدراسات أهمية وقيمة علمية، حيث استطاعت أن تبين أهمية توجيهات السنة النبوية في تجسد تنمية مستدامة على أرض الواقع، وهنا نجد أن موضوع التنمية المستدامة في السنة النبوية مازال يحتاج إلى عدة دراسات حتى نتمكن من تقديم صورة متكاملة لدور أحكام وتوجيهات السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة، ويبقى المجال مفتوحا لأي باحث لسد النقص في الدراسات النظرية والتطبيقية والميدانية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للتنمية المستدامة في السنة النبوية.

لقد اعتمدت في منهجية توثيق الأحاديث النبوية على تخريج كل الأحاديث النبوية الواردة في الدراسة من مصادر الحديث الأصلية، مع ذكر الكتاب والباب ورقم الحديث ما أمكن، وذكر معلومات النشر، أما الأحاديث الواردة في المقدمة فقد اكتفيت فيها بالإشارة إلى مصدر الحديث باعتبار أن هذه الأحاديث تم تخريجها مفصلا في متن الدراسة.

ومن أجل الإلمام بموضوع الدراسة تم تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

المبحث الأول: معالم التنمية المستدامة من خلال بناء اقتصاد المدينة في العهد النبوي

المطلب الأول: التكافل والمصلحة العامة.

المطلب الثاني: اتخاذ سوق بديل.

المطلب الثالث: تحرير مصادر المياه.

المطلب الرابع: التشجيع على الملكية والاستثمار.

المطلب الخامس: تنظيم المعاملات التجارية وفق قواعد جديدة على أساس الشريعة الإسلامية.

المطلب السادس: تشجيع المسلمين على ممارسة النشاط الزراعي.

المطلب السابع: تشجيع المسلمين على ممارسة النشاط الصناعي والحرف.

المطلب الثامن: تشجيع المسلمين على ممارسة النشاط التجاري.

المطلب التاسع: تشجيع المسلمين على ممارسة الأعمال الصغيرة.

المبحث الثاني: مبادئ الهدي النبوي في توجيه السلوك الاقتصادي لتحقيق التنمية المستدامة.

المطلب الأول: مبدأ الاستخلاف.

المطلب الثاني: مبدأ الوسطية.

المطلب الثالث: مبدأ الاستطاعة والأيسرية.

المطلب الرابع: مبدأ الفهم والوضوح.

المطلب الخامس: مبدأ المسؤولية.

المطلب السادس: مبدأ القدوة الحسنة.

المطلب السابع: مبدأ القيم الإسلامية.

المطلب الثامن: مبدأ العلاقات الإنسانية.

المبحث الأول: معالم التنمية المستدامة في بناء اقتصاد المدينة في العهد النبوي

انتقل الرسول ﷺ من أوضاع صعبة في مكة، إلى أوضاع أصعب وأعقد في المدينة، مما استدعى من النبي ﷺ اتخاذ العديد من الإجراءات لإنعاش وضع المسلمين الاقتصادي بالمدينة، حيث مست هذه الإجراءات والتوجيهات كل جوانب الحياة الإنسانية بما يضمن سعادة الانسان وانتظام أموره واستقامة أحواله في هذه الدنيا، وكان من بيها:

المطلب الأول: التكافل والمصلحة العامة:

تدفق المهاجرين إلى المدينة المنورة وتركهم أهليهم ومعظم أموالهم في مكة أدى إلى عدم قدرتهم على ممارسة التجارة وشعورهم بالوحشة وحنينهم إلى مكة، ومن أجل التخفيف عن المهاجرين، شرع رسول الله ﷺ نظام المؤاخاة بين المهاجرين المكيين وبين الأنصار من أهل المدينة. [1]

إن المؤاخاة هي عملية تكييف اجتماعي لتأكيد التضامن والتعاون، وقد اتخذ الرسول ﷺ من حقيقة التآخي أساسا لمبادئ العدالة الاجتماعية، وقد جسدت هذه المؤاخاة جملة من المبادئ الإدارية للدولة الإسلامية الناشئة، ومنها ما يلي:[2]

- إقرار مبدأ المساواة.
- تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي والحد من الفوارق.
- تحقيق مبدأ وحدة الهدف العام والمصلحة المجتمعة العامة.

لو أتينا إلى قياس الإجراءات التي اتخذها النبي ﷺ للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وفق المقاييس المعاصرة لوجدناها مثلت أرقى ما توصلت له البشرية في مجال التنمية المستدامة، إذ يعتبر البعد الاجتماعي أحد أهم الأبعاد التي تقوم عليها التنمية المستدامة ويكمل البعد الاقتصادي للتنمية باعتباره يحقق العدالة الاجتماعية ويوفر فرص متساوية للجميع ويسهم في تعزيز حقوق الإنسان والتنمية البشرية.

1- انظر: فيصل أحمد عابد شعيبي، الإدارة العامة في العهد النبوي المفهوم والنشأة والمهام، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد والإدارة، جدة، م18، ع1، 2004م، (ص47).

2- المرجع نفسه (ص47).

المطلب الثاني: اتخاذ سوق بديل:

رأى النبي ﷺ ضرورة إيجاد سوق يكون بديلا للمسلمين عن سوق بني قينقاع، وليمكّن للمسلمين اكتساب مصادر الثروة والاقتصاد في المدينة، ولتظهر فيها آداب الإسلام، وأخلاقه الرفيعة في عالم التجارة والمال، فأقام سوق المدينة محددا مكانها غرب المسجد النبوي، وكان يتفقده بنفسه[1]، فعن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ. فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا. فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا. فَقَالَ «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ «قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مني»[2].

وقد حظيت السوق باهتمامه ورعايته وتعهده ﷺ بالمراقبة والإشراف على حركة البيع والشراء وكل ما يتعلق بالأمور التجارية، لضمان سلامة المعاملات وليحصل كل إنسان على ما يحتاج دون أن يتعرض لغش أو تدليس، وقد ذكر صاحب السيرة الحلبية أن رسول الله ﷺ ولى عمر بن الخطاب على سوق المدينة، وتولية عمر على هذا العمل يدل على جسامته وأهميته، ثم وبعد فتح مكة (سنة 8 ه) ولى رسول الله ﷺ سعيد بن العاص على سوقها للإشراف على الحركة التجارية، ولما كان النبي ﷺ قد ولى عتاب بن أسيد على مكة بعد فتحها، فتولية سعيد بن العاص أمر السوق، يدل على أنه بجانب الولاية العامة كانت هناك ولايات نوعية متخصصة بناحية محددة يتولاها آخرون، فبجانب الوالي كان هناك القاضي وجامع الصدقات المختص بالشؤون المالية.[3]

وقد عرفت سوق المسلمين إقبال التجار من داخل المدينة وخارجها، فقد ارتاده الأنباط من الشام لبيع بضاعتهم، وخاصة الدّكرك (دقيق الحواري) وشراء التمر منه،[4] ويرجع هذا الإقبال لحسن اختيار الموقع، فقد كانت تقع في جهة بمثابة المدخل الرئيس للمدينة سواء من جهة الشام أو اليمن أو مكة، مما مكن المسلمين من تلقي التجار والوفود حال وصولهم، موفرين عليهم مشقة السير عبر الأزقة والطرق خلال الدور للوصول

1- سحر يوسف القواسمي، التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام، رسالة ماجستير "غير منشورة"، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 1491ه، 1999م، (ص113).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ "من غشنا فليس منا" (1/99) حديث رقم (103).

3- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط2، 1429ه، (ص149).

4- انظر: سحر يوسف القواسمي، التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام (ص113).

إلى سوق بني قينقاع.[1]

إن إقامة النبي ﷺ لسوق المدينة وإقراره لآداب وتوجيهات متعلقة بالتعامل التجاري، مكّن المسلمين من إنعاش وضعهم الاقتصادي والمالي، فهذا النوع من الإجراءات والتوجيهات النبوية الشريفة التي أعطت للأسواق والحركة التجارية أهمية كبيرة في حياة الناس يجب أن نأخذها أساسا في حياتنا المعاصرة لمسايرة التوجه العالمي لتحقيق التنمية المستدامة، خاصة ما تعلق ببناء القدرات لتعزيز التعاملات التجارية وتنظيم الأسواق.

المطلب الثالث: تحرير مصادر المياه:

سعى النبي ﷺ إلى نقل ملكية بئر رومة إلى المسلمين، حيث كان المسلمون يشترون الماء من صاحبها اليهودي، فقد روي عن عثمان بن عفان ﷺ أن النبي ﷺ قال (مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ)، فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ[2]، وفي رواية «مَن يشتري بئر رُومة فيجعل فيها دَلْوَهُ مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة» فاشتريتها من صلب مالي[3] فاشتراها عثمانُ بن عفان ﷺ مِن يهودي بأمرِ النبي ﷺ وَسبَّلَها لِلمُسلمِينَ وكان اليهودي يبيعُ ماءَها. وفي الحديث أن عثمان ﷺ اشترى منه نصفها باثني عشر ألفًا، ثم قال لليهودي اختر إما أن تأخُذَهَا يومًا وآخذَهَا يومًا، وإما أنْ تَنْصِبَ لك عليها دلوًا، وأَنْصِبَ عليها دلوًا، فاختار يومًا ويومًا، فكان الناسُ يستقون منها في يوم عثمان لِليومين، فقال اليهودي: أفسدتَ عليَّ بئري، فاشترى باقيها، فاشتراه بثمانية آلاف[4]، وبهذا آلت البئر لملكية المسلمين.

1- انظر: سامي أبو زهري، يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، رسالة ماجستير "غير منشورة"، الجامعة الإسلامية، غزة، 1424هـ، (ص226).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان (3/1351) حديث رقم (3491).

3- أخرجه النسائي في سننه، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1986م، كتاب الأحباس، باب وقف المساجد (6/233) حديث رقم (3608). والدارقطني في سننه، المحقق/عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، 1966م، كتاب الأحباس، باب وقف المساجد والساقيات (4/195) حديث رقم (4437)، (حسنه الألباني).

4- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هذي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ، (5/805).

المطلب الرابع: التشجيع على الملكية والاستثمار:

لقد شجع رسول الله ﷺ تملك الأراضي البور واستثمارها، وفتح الباب لمن أراد أن يمتلك أرضًا بشرط:

- أن يبدأ بإعمارها فورًا بالبناء أو الزراعة، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَاطَ حَائِطًا عَلَى أَرْضٍ فهي لَهُ»[1].

- ألا تكون مملوكة لأحد قبله، وقد أباح النبي ﷺ التملك لجميع رعايا الدولة ومواطنيها، تشجيعا على إحياء الأرض الموات، واستثمارها بما يعود بالنفع على الجميع (وفي الفقه تفصيل مثل هذه المسائل).

- ألا يضر التملك بمصلحة الأمة، فيكون التملك لنشر العمران، وتكثير موارد الخير، وتحقيق المصلحة والمنفعة العامة. أما إذا أدى ذلك إلى الاحتكار والاستغلال، فهنا تتدخل الدولة وتمنع التملك حفظًا للتوازن، ومراعاة للمصلحة العامة.[2]

المطلب الخامس: تنظيم المعاملات التجارية وفق قواعد جديدة على أساس الشريعة الإسلامية:

حظي موضوع الأسواق وتحريرها من مظاهر الفوضى والتلاعب باهتمام كبير من النبي ﷺ، ويظهر ذلك من الأحاديث الكثيرة التي ازدحمت بها كتب الحديث تحت باب البيوع، والتي تتضمن توجيهات النبي ﷺ ونواهيه الهادفة إلى ضبط المعاملات التجارية في الأسواق.

ومن ذلك مراقبة الأسعار وتحديدها، ومنع الاحتكار، وتحريم الغش، ومنع بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، وتنظيم أمور المكاييل والموازين، والنهي عن التعاطي بالربا، وغير ذلك من الممارسات التي نهى الإسلام عنها.[3]

1- أخرجه أحمد في المسند، المحقق/شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1420هـ/1999م، (33/313) حديث رقم (20129). وأبو داود في سننه، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط. ت، كتاب الخراج، باب في إحياء الموات (3/143) حديث رقم (3077). (صححه الألباني).

2- كامل سلامة الدقس، دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين، دار عمار، الأردن، ط2، 1415هـ، (ص454).

3- انظر: سامي أبو زهري، يهود المدينة في العهد النبوي (ص227).

المطلب السادس: تشجيع المسلمين على ممارسة النشاط الزراعي:

سعى النبي ﷺ إلى حث المسلمين على الاهتمام بالمجالات الاقتصادية كافة، بما في ذلك النشاط الزراعي فقد ورد عن الرسول ﷺ تشجيع الزراعة، والحث عليها، حتى تحقق الأمة الاكتفاء الذاتي وزيادة، قال النَّبِيَّ ﷺ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ «[1]، وحتى في أصعب الظروف حث ﷺ على الزراعة والغرس، قال ﷺ «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا»[2].

وفي حديث آخر تناول بشكل واسع وواضح الحفاظ على الاستدامة البيئية بالزرع والغرس والحفاظ على الحياة البرية بإتاحة المأكل للحيوانات، قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[3]، وفي حديث آخر توجيه صريح لاستثمار الأرض وعدم تعطيل الانتفاع بها، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا، أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُمْسِكْ أَرْضَهُ».[4]

ولم يكتفِ ﷺ بِحثِّ المسلمين وتوجيهم لاهتمام بإحياء الأراضي بالزراعة والغرس بل قام بيده الشريفة بغرس الأشجار، عن سلمان الفارسي ﷺ، قال: كاتَبتُ أهْلي على أنْ أغْرِسَ لهُم خَمْسَ مِئةِ فَسيلةٍ، فإذا عَلِقَتْ فأنا حُرٌّ، قال: فأتَيتُ النبيَّ ﷺ، فذَكَرتُ ذلك له، قال: اغْرِسْ واشتَرِطْ لهم، فإذا أرَدْتَ أنْ تَغْرِسَ فآذِنِّي، قال: فآذَنتُه، قال: فجاء، فجَعَلَ يَغرِسُ بِيَدِه إلَّا واحِدةً غَرَستُها بِيَدي، فعَلِقْنَ إلَّا الواحِدةَ [5].

لقد أسهم المهاجرون في التوسع في زراعة القمح على وجه الخصوص، كطلحة بن عبيد الله الذي كان يدخل قوت أهله بالمدينة سنتهم من مزرعة بقناة كان يزرع على

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب: من أحيا أرضا مواتا (2/823) حديث رقم (2209).
2- أخرجه أحمد في المسند (20/251) حديث رقم (12902). (صححه الألباني).
3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (2/817) حديث رقم (2195). ومسلم في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (3/189) حديث رقم (1553).
4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب ما كان أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمرة (2/825) حديث رقم (2216). ومسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب كراء الأرض (3/1178) حديث رقم (1544).
5- أخرجه أحمد في المسند (39/134) حديث رقم (23730). والحاكم في المستدرك على الصحيحين، المحقق/مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، كتاب المكاتب (2/237) حديث رقم (2862). (صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند).

عشرين ناضحا وأول من زرع القمح بقناة»[1]، مما يدل على سعة الأراضي التي قام بزراعتها، ومما ساعد على انتشار الزراعة وتقدمها بشكل واسع في المدينة وجود عدد كبير من المهاجرين عملوا في الزراعة، واستغلوا الأراضي الزراعية الواسعة، واستصلحوا ما حول الأودية مثل وادي بطحان، كما استصلحوا أرض الغابة شمالي غرب المدينة، وكانت عبارة عن أشجار كثيرة من الكرفاء والأثل، فقطعوا معظمها، وغرسوا مكانه وِدية النخل، كما عملوا على إيجاد مزارع متخصصة لزراعة القمح في وادي قناة[2].

المطلب السابع: تشجيع المسلمين على ممارسة النشاط الصناعي والحرف:

يمكن القول أن العمل في الإسلام ليس مقصورا على تنفيذ أحكام الشريعة، بل يشمل جميع أصناف وأنواع العمل الدنيوي، وجميع ضروب الصناعة والتصنيع، وفي القرآن الكريم نجد الكثير من الآيات تدعوا إلى العمل قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ التوبة [105]، وقد أشاد الإسلام بالعمل اليدوي قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴾ يس [35]، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»[3]. كما ذكر القرآن الكريم الحديد واستخدامه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ الحديد [25]، ومعنى الآية «أن آلات الحروب متخذة منه، إذ ما من صنعة إلا والحديد آلاتها»[4].

لقد كان للتعاليم الإسلامية في مفهوم العمل أثر واضح في نفوس المسلمين، فأقبلوا على أنواع الصناعات يتقنونها محاولين التفوق على غيرهم من الشعوب.[5]

1- محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د. ط. ت، (3/222).

2- عبد الله ابن إدريس، مجتمع المدينة في عهد النبي ﷺ، رسالة ماجستير "منشورة"، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1981م، (ص208).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، باب (2/535) حديث رقم (1402).

4- نصار الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418ه، (ص303).

5- انظر: محمد ممدوح العربي، دولة الرسول ﷺ في المدينة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م، (ص219-218).

المطلب الثامن: تشجيع المسلمين على ممارسة النشاط التجاري:

عرفت بلاد الحجاز بمكانتها الاقتصادية المتميزة، فقد كان يشقها شريان التجارة الرئيسي، الذي تتفرع منه شرايين تتجه باتجاه الشرق والشمال الشرقي، كما يسير بمحاذاته شريان آخر مهم، هو طريق البحر الأحمر المؤدي إلى الهند، لهذا فإن الحجاز كان جسرًا يربط بلاد الشام وحوض البحر الأبيض المتوسط من اليمن والحبشة والصومال بالسواحل المطّلة على المحيط الهندي، مما أكسب المدن الحجازية الواقعة على هذا الشريان التجاري مكانة تجارية بارزة.[1]

وفي مجال التجارة استطاع المهاجرون الأوائل من المسلمين من استغلال خبراتهم التجارية السابقة وتمكنوا من الاستفادة من الإمكانيات المتوفرة في أسواق المدينة، حيث نزلوا للعمل في سوق بني قينقاع للتخفيف من الأعباء الملقاة على كواهل الأنصار، ولقد استطاع عبد الرحمن بن عوف أن يجمع المال بسرعة من مزاولته التجارة في هذا السوق، حيث أدى هذا لغناه فتزوج من الأنصار وأسس له بيتًا مستقلًا[2]، فقد روي عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أنه سأل: هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ قَالَ سُوقُ قَيْنُقَاعٍ قَالَ فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ قَالَ ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَزَوَّجْتَ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَمَنْ قَالَ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ قَالَ كَمْ سُقْتَ قَالَ زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ[3].

لقد استطاع المهاجرون الجدد ذوو الخبرة التجارية السابقة في مجتمع مكة إلى جانب إجراءات النبي ﷺ من التأثير على الحركة التجارية في يثرب لصالحهم، ونقل مركز الثقل الاقتصادي إلى أيدي المسلمين.

1- عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب والدولة العربية، دار النهضة العربية، مصر، ط1، 1971م، (2/40).

2- انظر: رياض أحمد شاهين، النشاط الاقتصادي لليهود بالحجاز في الجاهلية وفي عصر الرسول ﷺ، مجلة الجامعة الإسلامية "سلسلة الدراسات الإنسانية"، غزة، م12، ع2، يونيو 2004م، (ص37).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض" (الجمعة 10) (2/722) حديث رقم (1943).

لقد وردت عدة نصوص في السنة النبوية تحث على التجارة وتشجع على ممارستها، فعندما سُئلَ النبي ﷺ: أي الكسب أطيب؟ فقال «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ»[1] وعن الزبير بن العوام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فيَكفَّ اللّٰهُ بها وجهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوه»[2].

الوقائع التي حدثت في مدينة رسول الله ﷺ ومكنت من التأثير على النشاط التجاري فيها، والنصوص النبوية الشريفة التي وردت في فضل التجارة يجب أن تكون مرجعا لاقتصادنا المعاصر في جعل النشاط الاقتصادي المنضبط بأحكام الشريعة الإسلامية محركا للتنمية المستدامة من خلال تعزيز السياسات الموجهة نحو التنمية والتي تدعم الأنشطة الإنتاجية، وفرص العمل اللائق، ومباشرة الأعمال الحرة وفق ما ورد في الهدف الثامن «العمل اللائق ونمو الاقتصاد» من أهداف التنمية المستدامة التي وضعتها الأمم المتحدة[3].

المطلب التاسع: تشجيع المسلمين على ممارسة الأعمال الصغيرة:

في مجال الأعمال الصغيرة نجد في السنة النبوية إشارة واضحة إلى توجيه السلوك الاقتصادي للأفراد للاستثمار في المشروعات الصغيرة فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ فَقَالَ «أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ». قَالَ بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ . قَالَ: «ائْتِنِي بِهِمَا». فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ» . قَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ . قَالَ «مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ» . مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا قَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ . فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ وَقَالَ «اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ». فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ «اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ

1- أخرجه أحمد في المسند (28/502) حديث رقم (17265). والْبَزَّارُ في مسنده، المنشور باسم البحر الزخار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 2009م، (9/259) حديث رقم (1943). (صححه الألباني).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (2/535) حديث رقم (1402).

3- القضاء على الفقر، أهداف التنمية المستدامة، الأمم المتحدة، www.un.org/sustainabledevelopment/ar/poverty، 02/09/2024.

وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا». فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ»[1].

الحديث النبوي يدل على أن النبي ﷺ قد وجه العاطلين عن العمل إلى ممارسة الأعمال، ثم أسهم في تحديد نوع الآلة التي يحتاج إليها العامل ووفر مصدر تمويلها، وهذه الأعمال التي وجه إليها الرسول ﷺ يمكن تسميتها بالمشاريع الصغيرة.

النبي ﷺ في سنته العملية أرشد إلى إنشاء المشاريع الصغيرة من منطلق محاربة البطالة وبين كيفية تمويلها، وإيجاد مصادر هذا التمويل على مستوى الفرد وأسرته، وعلى مستوى العشيرة ومن ثم على مستوى المجتمع ككل.

وضعت السنة النبوية المطهرة أركانا لتشجيع المشاريع الصغيرة؛ تمثلت في التخطيط لمتابعتها واستدامتها، وتنظيم السوق لتلك المشاريع من خلال ضبط المنافسة والعلاقة ما بين المنتجين والبائعين، ومن ثم مراقبة وإخضاع منتجات المشاريع الصغيرة لمعايير الجودة.[2]

توجيهات السنة النبوية الشريفة بتوجيه العاطلين إلى ممارسة الأعمال الصغيرة يجب أن تكون أساس تجسيد التنمية المستدامة، فإن الأمم المتحدة في إطار وضعها لأهداف التنمية المستدامة شجعت على إقامة المشاريع المتناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة الحجم، من خلال وضع الدعائم التي تهدف إلى مساعدة المنشآت الصغرى والصغيرة والمتوسطة على توسيع دائرة أعمالها ونموها واجتياز الضوائق المالية[3].

1- أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، د. ت، أبواب التجارات، باب بيع المزايدة (2/740) حديث رقم (2198). والترمذي في سننه (الجامع الصحيح)، المحقق/ أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت، أبواب البيوع، باب ما جاء في بيع من يزيد (3/514) حديث رقم (1218). (ضعفه الألباني).

2- أسامة عبد المجيد العاني، إدارة الأعمال الصغيرة وتمويلها من منظور السنة النبوية، مجلة اسرا الدولية للمالية الإسلامية، ماليزيا، م7، ع1، 2016م، (ص244-226).

3- أهداف التنمية المستدامة، الأمم المتحدة، www.un.org/sustainabledevelopment/ar/poverty، 02/09/2024.

المبحث الثاني: مبادئ الهدي النبوي في توجيه السلوك الاقتصادي لتحقيق التنمية المستدامة

التزام الأفراد والمجتمعات بالتوجيهات النبوية الشريفة يجعله يستند على مجموعة من المبادئ والأسس التي تمكّن الإنسان من توجيه نشاطه الإنتاجي والاستهلاكي بما يتناسب ومقتضيات استدامة الموارد الطبيعية وتحقيق التنمية المستدامة، ومن بين تلك الأسس والمبادئ ما نوضحه فيما يلي:

المطلب الأول: مبدأ الاستخلاف:

يقوم هذا المبدأ على أساس أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون، وأن الملكية الموجودة في هذا الكون هي لله وحده، فهو مالك الملك، أما الإنسان فهو مستخلف من الله في هذه الأرض، وخلافته هي العمل لتحقيق ما أراده الله تعالى ومن ثمة فملكية البشر للمال ليست ملكية أصيلة ولكنها مكتسبة بالاستخلاف، كما أن حيازتها له مرتهنة بشروط هذا الاستخلاف التي حددها الله[1]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ الحديد [7]، وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيها، فَيَنْظُرُ كيفَ تَعْمَلُونَ»[2] وقوله ﷺ: «سجدَ وجهي للَّذي خلقَهُ، وشقَّ سمعَهُ وبصرَهُ، بحولِهِ وقوَّتِهِ فتبارَكَ اللَّهُ أحسنُ الخالقين»[3]، ومن ثمرات هذا المبدأ في الحياة الاقتصادية والاجتماعية أنه يوجه إلى تحقيق عمارة الأرض واستدامة مواردها بما يضمن الحياة الكريمة للناس، وذلك من خلال:[4]

هذا المبدأ يسهل على الأفراد والجماعات قبول الأوامر والتوجيهات والقوانين الشرعية المتعلقة بالحفاظ على الموارد الطبيعية والحيوانية وفق ما تضمنه الهدي النبوي.

أن هذا المبدأ يعطي الدولة سندًا شرعيًا وأساسًا نظريًا، لفرض السياسات والإجراءات القادرة على منع الإضرار بالأرض ومواردها بما يحقق التنمية المستدامة.

1- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1393هـ، (ص316).

2- أخرجه مسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء (4/2098) حديث رقم (2742).

3- أخرجه الترمذي في سننه (الجامع)، كتاب أبواب السفر، باب ما يقول في سجود القرآن (2/474) حديث رقم (580) وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

4- انظر: جميل أحمد، الدور التنموي للبنوك الإسلامية دراسة نظرية تطبيقية 2000-1980م، أطروحة دكتوراه «غير منشورة»، جامعة الجزائر، 2006-2005م، (ص15).

من ثمرات هذا المبدأ أنه يعطي الجماعة حق الرقابة على الأنشطة التي تستنزف الموارد الطبيعية.

هذا المبدأ سيكون حافزا للأفراد والجماعات لاستثمار الأموال وعمارة الأرض لنفع المجتمع، وعدم الإضرار بالنفس أو بالغير أو بالمجتمع وبالكون.

المطلب الثاني: مبدأ الوسطية:

الوسطية مبدأ إسلامي عام يُبني عليه كل الفكر الإسلامي في جميع المجالات بما فيها المجال الاقتصادي والتنموي، وبهذا المبدأ يمكننا تحقيق التوازن الذي تتطلبه التنمية المستدامة بين هدف إشباع احتياجات الإنسان وهدف الحفاظ على الموارد الطبيعية، كما يمكننا الاعتدال في الاستهلاك واستخدام الموارد الطبيعية بما يضمن الحفاظ على سبل عيش الأجيال الحالية والمستقبلية.[1]

مبدأ الوسطية مرغوب فيه في مختلف جوانب حياة الإنسان، وسيكون لهذه القاعدة التي قامت على أحكام الشريعة الإسلامية أثرا واضحا على حياتنا الاقتصادية من خلال تحقيق التوازن بين متطلبات التنمية والاستغلال الأمثل للموارد بلا إفراط ولا تفريط، وأساس هذه الخاصية هو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ الفرقان [67] وقول رسول الله ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»[2].

المطلب الثالث: مبدأ الاستطاعة والأيسرية:

من أهم قواعد الإسلام العامة الواقعية، ومراعاة القدرات والإمكانات، والقابلية للتنفيذ في ضوء الظروف والملابسات، فلا يمكن أن يكلف فرد بأكثر مما يطيق ولا يطالب بأكثر مما يتحمل، لذلك يلزم أن يكون مبدأ الاستطاعة أساس التعامل الإنساني بحيث يتم مراعاة قدرات وطاقات من سيقومون بعملية التنفيذ.

1- انظر: رفعت السيد العوضي، الوسطية الاقتصادية في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط1، 1434هـ، (ص21-18).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى، (4/2171) حديث رقم (2818). والبخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (5/373) حديث رقم (6098).

وترتبط الاستطاعة بالأيسرية ويقصد بها في الفكر الإسلامي أداء العمل من غير تعسف، فأحيانًا قد يكون أداء العمل مستطاعًا ولكن بشق الأنفس، لذا يجب مراعاة ما يعترض العمل من صعوبات ومعوقات، فمن القواعد الأساسية في الإسلام «المشقة تجلب التيسير»، وقد قرّرت السنة النبوية هذا المبدأ وأرست قواعده ومن هدي النبي ﷺ هذا المجال[1]، يروى عنه: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا»[2]، ومن ناحية أخرى أمر رسول الله ﷺ بضرورة العمل حسب ما هو مستطاع ويستعين بما يسره الله له من أساليب العمل ولا يجب التراخي والاتكال، فقال ﷺ «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[3].

والمقصد العام للشارع الحكيم تحقيق مصالح الناس في الحياة، بجلب النفع لهم ودفعِ الضر، ورفع الحرج عنهم، وأنه لا تكليف إلا مع الإطاقة، فالاستطاعة لُبٌّ من لُبَاب الحَنِيفيّة، وقاعدةٌ من قواعد الدِّين، وهي شعارُ الفطرة الخالصة، ومَنَارُ الرحمةِ والتيسير. والاستطاعة راسخة في الدين، مطّرِدةٌ في شرائعه، مستوعِبةٌ لأحكامه. [4]

إن مبدأ الطاقة واليسر الذي قررته أحكام الشريعة الإسلامية إذا تمكنَّا من الأخذ به في حياتنا اليومية والاستناد إليه في بناء السياسات الاقتصادية والاجتماعية سيكون أساسًا قويا لتجسيد أهداف التنمية المستدامة، خاصة ما تعلق ببناء قدرات الفقراء والفئات الضعيفة على الصمود والحد من تعرضها وتأثّرها بالظواهر المتطرفة المتصلة بالمناخ وغيرها من الهزات والكوارث الاقتصادية والاجتماعية والبيئية[5].

1- حسين شحاتة، أصول معايير التكاليف في الإسلام، مطبوعات كلية التجارة، جامعة الأزهر، 1405هـ، (ص17-16).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام، (4/1813) حديث رقم (2327). والبخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي (صلى الله عليه وسلم) (3/1306) حديث رقم (3367).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، بَاب كيفية خلق الآدمي (4/2040) حديث رقم (2647).

4- قاسم على سعد، الاستطاعة في الشريعة الإسلامية. تحقيق وتأصيل، مجلة الجامعة القاسمية للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، الجامعة القاسمية، الإمارات العربية المتحدة مجلد1، عدد1، 2021م، (ص164).

5- أهداف التنمية المستدامة، الأمم المتحدة، www.un.org/sustainabledevelopment/ar/poverty، 02/09/2024.

المطلب الرابع: مبدأ الفهم والوضوح:

الهدي النبوي تضمن الكثير من التوجيهات التي تجعل الإنسان يدرك ويفهم طبيعة العمل الذي يقوم به والنشاطات التي يؤديها من حيث الكيفية الصحيحة لأدائه وانعكاساته على المحيط الذي يعيش فيه والذي يشمل الكائنات الحية كالإنسان والحيوان والنبات، أو الموارد الطبيعية من ماء وهواء وتربة ومناخ ونباتات طبيعية وغيرها، لأن إحسان التعامل مع مكونات هذا المحيط وفقًا للقواعد والمعايير الإسلامية مقرون بالفهم السليم، والتنفيذ الصحيح، ودليل خاصية الوضوح من هدي تعاليم الإسلام في هذا المجال نجد في الأثر «أَنَّ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ»[1].

وفي مجال المعاملات يروى أن عمر بن الخطاب ﷺ، كان يطوف في السوق، ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول «لَا يَبِعْ فِي سُوقِنَا إِلَّا مَنْ قَدْ تَفَقَّهَ فِي الدِّينِ»[2]، ويستنبط من هذا الحديث أن الفرد ينبغي له ألا يقدم على العمل حتى يفهمه، ويجيده، لذلك أكد فقهاء المسلمين أن المتعاملين يجب أن يكونوا على علم بالقواعد الشرعية وبالموازين والمكاييل والحلال والحرام حتى تكون التعاملات صحيحة، وإن صحت تعاملاتهم فإنها ستكون بعيدة عن أي ضرر يلحق بالإنسان أو بالبيئة أو بالموارد الطبيعية[3].

المطلب الخامس: مبدأ المسؤولية:

المسؤولية تعتبر أحد أهم الركائز التي تجعل الأفراد والمؤسسات والحكومات يستشعرون أهمية بناء مستقبل أفضل للأجيال القادمة في إطار تنمية مستدامة متكاملة، وأيضا تضبط السلوك الاقتصادي وفق ما يحقق الاستدامة المستقاة من الاحتياجات الفعلية للأفراد التي تراعي عدم استنزاف الموارد الطبيعية.

كذلك من مقتضيات مبدأ المسؤولية اشتراك كل من الأفراد والمؤسسات والحكومات في التنمية المستدامة بغية بناء دمج جانب الاستدامة في البرامج الاجتماعية

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من سمع شيئا فراجعه حتى يعرفه (1/51) حديث رقم (103).

2- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الوتر، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) (2/357) حديث رقم (487). (حسن إسناده الألباني).

3- انظر: حسين شحاتة، أصول معايير التكاليف في الإسلام (ص18-17). محمد رأفت عثمان، بعض المبادئ التي تحكم الإدارة العامة في الإسلام (وقائع الندوة رقم 31: الإدارة في الإسلام، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، ط1، 1416هـ، (ص160-159).

والاقتصادية والثقافية.

وقد أرشد الهدي النبوي الأفراد والجماعات إلى تحمل المسؤولية، ، فكل مسؤول عن عمله، وهذا من شأنه تنمية الإحساس بالثقة وتحقيق الذات والانتماء، قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ، عَنْ رَعِيَّتِهِ»[1]، المسؤولية لا تنتهي بالقيام بالعمل، بل هي ممتدة إلى نتائجه وآثاره، وهو ما عبر عنه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ﷺ في حديثه حين سأل الناس: «أَرَأَيْتُمْ إِنِ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خَيْرَ مَنْ أَعْلَمُ، وَأَمَرْتُهُ بِالْعَدْلِ، أَقَضَيْتُ مَا عَلَيَّ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «لَا، حَتَّى أَنْظُرَ فِي عَمَلِهِ، أَعَمِلَ مَا أَمَرْتُهُ أَمْ لَا»[2].

ومن مقتضيات مبدأ المسؤولية أيضا عدم إلحاق الضرر بالبشر والحيوانات والموارد الطبيعية، والعمل على تجنبه والوقاية منه، قال رسول الله ﷺ: «لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ»[3] نص هذا الحديث ينفي الضرر مطلقًا فيوجب منعه سواء كان الضرر عامًا أو خاصًا ويوجب أيضًا وقفه قبل وقوعه بطرق الوقاية الممكنة ويشمل أيضًا رفعه بعد وقوعه بما يمكن من التدابير التي تزيل آثاره وتمنع تكراره.[4]

وكذلك من مقتضيات الهدي النبوي للأفراد والجماعات بتحمل المسؤولية، تكليف الإنسان بمسؤولية الحفاظ على الحياة البرية بما يضمن التوازن البيئي واستمراره، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ إنسانٍ يقتُلُ عُصفورًا فما فوقَها بغيرِ حقِّها إلا سأله اللّهُ عنها»[5]، وقال ﷺ: «بَيْنمَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ اشْتَدَّ علَيْهِ الْعَطشُ، فَوجد بِئرًا فَنزَلَ فِيهَا فَشَربَ، ثُمَّ خَرَجَ فإذا كلْبٌ يلهثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ العطشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَملأَ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَه بِفيهِ، حتَّى

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأمارة، باب فَضِيلَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ (6/07) حديث رقم (1829). والبخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (1/303) حديث رقم (4904).

2- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، المحقق/ محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ، باب طاعة أولي الأمر، فصل في فضل الإمام العادل (6/24) حديث رقم (7395).

3- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره (2/784) حديث رقم (2341).

4- صالح بن غانم السدلان، القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، دار بلنسية، الرياض، ط1، 1417هـ، (ص498).

5- أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الذبائح (4/261) حديث رقم (7574). والنسائي في سننه، كتاب الصيد والذبائح، إباحة أكل العصافير (7/206) حديث رقم (4349). (حسنه الألباني).

رِقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَه فَغَفَرَ لَه. قَالُوا: يَا رسولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِم أَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبةٍ أَجْرٌ»[1].

وقد أعطت الشريعة الإسلامية أهمية كبيرة للمسؤولية، حيث أوضح الرسول ﷺ في حديثة إلى أبي ذر حين طلب أن يوليه وظيفة عامة «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَنَدَامَةٌ وَحَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[2]، فالمسؤولية من الأمور ذات الأهمية والتأثير المباشر على حسن انتظام الحياة بكل ما يتطلبه من استمرار هذا الانتظام بما في ذلك الحفاظ على الموارد التي خلقها الله في هذا الكون.

المطلب السادس: مبدأ القدوة الحسنة:

تغيير السلوك والعادات القائمة على الاستعمال المفرط للموارد والاستهلاك المستهتر والجائر لها يتطلب إلى القدوة الحسنة، فالتوجيه والوعظ والتعليم لا يكفون لتعديل السلوك وتصحيحه على الرغم من أهميتهما، لأن بناء سلوك جديد وتثبيته يحتاج قدوة يتبعها الناس، وقد كان رسول الله ﷺ قدوة في البذل والتضحية، وقدوة في التواضع والحلم وأدب الحديث، وقدوة في الشجاعة والصبر[3].

فقد شارك رسول الله ﷺ أصحابه في حفر الخندق وشاركهم تعب الحفر والجوع، فعن البراء بن عازب ﷺ قال: «أمَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ بحَفرِ الخَندَقِ، قال: وعَرَضَ لنا صَخرةٌ في مَكانٍ مِن الخَندَقِ، لا تَأخُذُ فيها المَعاوِلُ، قال: فشَكَوها إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فجاء رسولُ اللهِ ﷺ، قال عَوفٌ: وأحسَبُه قال: وَضَعَ ثَوبَه ثُمَّ هَبَطَ إلى الصَّخرةِ، فأخَذَ المِعوَلَ، فقال: بِسمِ اللهِ، فضَرَبَ ضَربةً، فكَسَرَ ثُلثَ الحَجَرِ، وقال: اللهُ أكبرُ! أُعطيتُ مَفاتيحَ الشَّامِ، واللهِ إنِّي لأُبصِرُ قُصورَها الحُمرَ مِن مَكاني هذا، ثُمَّ قال: بِسمِ اللهِ، وضَرَبَ أُخرى، فكَسَرَ ثُلثَ الحَجَرِ، فقال: اللهُ أكبرُ! أُعطيتُ مَفاتيحَ فارسَ، واللهِ إنِّي لأُبصِرُ المَدائنَ، وأُبصِرُ قَصرَها الأبْيَضَ مِن مَكاني هذا، ثُمَّ قال: بِسمِ اللهِ، وضَرَبَ ضَربةً أُخرى، فقَلَعَ بَقيَّةَ الحَجَرِ، فقال: اللهُ

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (4/1761) حديث رقم (2233). والبخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (5/2238) حديث رقم (5663).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (6/06) حديث رقم (1825).

3- انظر: محمد بن حسن مسفر الغامدي، توجهات إدارية في ضوء سورة البقرة، رسالة ماجستير «غير منشورة»، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (ص45-44).

أكبرُ! أُعطيتَ مَفاتيحَ اليَمنِ، واللّهِ إنِّي لأُبصِرُ أبْوابَ صَنْعاءَ مِن مَكاني هذا».[1]

المطلب السابع: مبدأ القيم الإسلامية:

السنة النبوية تضمنت توجيهات مست جميع نواحي حياة الإنسان، والتي يمكن جعلها أساسا للقيم التي يستند عليها تحقيق التنمية المستدامة، فالقيم والأخلاقيات التي دعت إليها الأحاديث النبوية شملت القيم الأخلاقية العامة، والقيم التي ترتبط بالمعاملات، والقيم التي ترتبط ببعض المهن دون أخرى، ومن هذه القيم على سبيل المثال لا الحصر نذكر:[2]

- القيم الاقتصادية والمالية: إن القيم والسلوكيات التي أحيط بها الاقتصاد والمعاملات في الإسلام سيكون لها الأثر الواضح على السلوك الاقتصادي والإداري والاجتماعي للفرد، ونذكر هذه القيم مجملة وموجزة فيما يلي: المال نعمة من الله، استخلاف الإنسان في المال، تملك المال ليس غاية وإنما هو وسيلة للتمتع بالطيبات من الرزق، استثمار المال وعدم اكتنازه، توثيق المعاملات المالية، الكسب الحلال للمال، منع الربا وأكل أموال الناس بالباطل، الاعتدال في انفاق المال، الصدق والأمانة في المعاملات المالية، حرمة التعدي على أموال الغير.
- القيم السياسية: ومنها: الشورى، العدل، الأمن والأمان، المسؤولية.
- القيم الاجتماعية: هي التي تدعو الفرد بأن يسلك سلوكًا سويًا في تعاملاته مع الآخرين، ومن هذه القيم التي تنشأ عن التوجيهات الشرعية الاجتماعية نذكر: التعاون، التواضع، الصداقة، النصيحة.
- القيم العلمية: جاءت العديد من النصوص الشرعية التي تحث على السعي في طلب العلم، وتحري العلم النافع، والتجديد والابتكار، ونشر العلم.

1- أخرجه أحمد في المسند (30/625) حديث رقم (18694). (صححه الألباني).

2- انظر: محمد جلال سليمان صادق، دور القيم في نجاح البنوك الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1417هـ، (ص33-31).

- أحمد يوسف، القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1410ه، (ص107-102).
- عز الدين محمد خوجة، المبادئ والقيم الإسلامية في المعاملات المالية، مجموعة دله البركة، جدة، 1414هـ، (ص16-11).

- القيم الروحية: إن القيم الروحية في الإسلام لا يمكن إنكار دورها في التأثير على سلوك الفرد وتوجيه تصرفاته وأفعاله، ومن أهم هذه القيم: حسن الخلق، إخلاص النية لله، الرضا والقناعة، الحياء، العزة والكرامة.

- القيم الجمالية: نظمت الشريعة الإسلامية هذا الجانب بالكثير من التوجيهات والأحكام المتعلقة بالنظافة، والطهارة، وآداب الحديث، والاهتمام بالصحة، لذا نجد الكثير من القيم الجمالية التي ترسخت عند الأفراد مثل: النظافة والتجمل والصحة، حسن المظهر، نظافة البيئة، ممارسة الرياضة، أدب الحديث.

كل هذه القيم التي سيكتسبها الفرد من منظومة المجتمع الذي يعيش فيه، ومن التزامه بتوجيهات وتعاليم الشريعة الإسلامية سيكون لها تأثير مباشر وغير مباشر على أعماله وأنشطته، لذا يعتبر الأخذ بهذه القيم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة من بين أهم عوامل تجسيد هذه التنمية وتحقيق أهدافها.

المطلب الثامن: مبدأ العلاقات الإنسانية:

رسخت الشريعة الإسلامية مبدأ العلاقات الإنسانية كمبدأ أساسي من مبادئ التعايش بين بني البشر، باعتباره أصلا صالحا لكل زمان ومكان إذا أحسن استخدامه، والتطبيق العادل للمبادئ المرتبطة بالعلاقات الإنسانية في الإسلام سيعود بنتائج إيجابية تعود بالفائدة على الفرد والمجتمع والبيئة بما يسمح بتبني تنمية مستدامة تحسن ظروف المعيشة لجميع الأفراد دون الإفراط في استخدام الموارد الطبيعية.

والعلاقات الإنسانية في الفكر الإسلامي ترتكز على أسس كثيرة من بينها: [1]

- بنيت أحكام الشريعة الإسلامية على تكريم الإنسان وتمييزه بما لم يميز به غيره من المخلوقات، وفق ما جاء في قَوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء [70]، في الآية دليل على أن العلاقات الإنسانية تنطلق من التكريم الإلهي للإنسان بما يمده بالشعور بالاحترام والتقدير والمكانة في أي مكان يتواجد فيه، سواء تواجده في المجتمع أو في

1- انظر: - محمد بن عايد المشاوية الدوسري، العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري الإسلامي والمعاصر، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1426هـ، (ص04-03)، (ص94-93). حناشي لعلي بن صالح، أثر القيم على السلوك الإداري بين الفكر الإسلامي والفكر الوضعي، دراسة مقارنة، دار اليازوري، عمان، ط1، 2014م، (ص377-375).

مكان عمله أو غير ذلك.

- الأسس الأخلاقية السليمة هي التي تقوم على العلاقات الإنسانية السوية، جاء في قوله تعالى وهو يخاطب رسوله (صلى الله عليه وسلم): ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران [159]. وقال الرسول ﷺ: «إنَّما بعثتُ لأتمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ»[1]، وقد قال النبي ﷺ: «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ»[2] في هذه النصوص الشرعية مبادئ سلوكية تقوم على الأخلاق الطيبة والمعاملة الحسنة والعلاقات الإنسانية الطيبة، وهي ترسخ منهجًا وأسسًا علمية سليمة للعلاقات بين الأفراد.

- عنيت الشريعة الإسلامية عناية كبيرة بحقوق العمال ووضعت القواعد التي تنظم العلاقات بين العامل وصاحب العمل بما يضمن الحقوق والحياة الكريمة والأوضاع المستقرة، ومن أمثلة الهدي النبوي في هذا المجال قوله ﷺ: «أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ»[3].

ومن النماذج التطبيقية التي ترسخ مبدأ العلاقات الإنسانية ما جاء في سيرة عمر بن الخطاب ﷺ فقد روى أبو يوسف في كتابه الخراج أن عمر بن الخطاب: ﷺ مر بباب قوم وعليه سائل يسأل - شيخ كبير ضرير البصر- فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال يهودي. قال فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ- أي فرض- له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: أنظر هذا وضربائه- أي أمثاله- فو الله ما أنصفناه أن نأكل شبيبته ثم نخذله عند الهرم (الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[4].

1- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، المحقق/محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414ه، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق (10/323) حديث رقم (20782). (صححه الألباني).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم (4/980) حديث رقم (2553).

3- أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الرهون، باب أجر الأجراء (2/817) حديث رقم (2443) (صححه الألباني).

4- أبو يوسف الأنصاري، الخراج، المحقق/طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن مُحَمَّد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د. ت، (ص139).

الالتزام بمكارم الأخلاق في التعامل مع الناس أساس العلاقات الإنسانية، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»[1]، وقوله ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ النَّاسُ عَلَيْهِ»[2]، وقوله ﷺ «أَحَبُّ الناسِ إلى اللّه أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ ﷻ سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ، تَكشِفُ عنه كُربةً، أو تقضِي عنه دَيْنًا، أو تَطرُدُ عنه جوعًا»[3]، فالرسول ﷺ حرص في بناءه للإنسان على الضمير الأخلاقي في السلوك، هذا الضمير إذا فعلناه في المجال التنموي، سنجد الخلق الحسن لدى الأفراد يدفع بهم للتحلي بالمسؤولية تجاه بعضهم البعض بما يضمن تمكين وتعزيز الإدماج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للجميع، بغض النظر عن السن أو الجنس أو الإعاقة أو الوضع الاقتصادي أو غير ذلك، وفق ما جاء في مقاصد الهدف العاشر «الحد من أوجه عدم المساواة» من أهداف التنمية المستدامة التي وضعتها الأمم المتحدة، وكذلك سيكون للضمير الأخلاقي في السلوك الإنساني أثر إيجابي على الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية بما يضمن تحقيق الهدف الثاني عشر «الإنتاج والاستهلاك المستدام» من أهداف التنمية المستدامة من خلال تحقيق الأمن الغذائي، وتحويل الاقتصاد نحو أنماط أكثر كفاءة في استخدام الموارد[4].

هذه النماذج وغيرها كثيرة في السنة النبوية وسيرة الخلفاء مما يرسخ الحق في الكرامة للعامل الذي له القدرة على العمل أو حتى من فقد القدرة على العمل، وتحفظ هذه الكرامة الإنسانية لأي عامل بغضّ النظر عن أي اعتبار آخر.

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كَثْرَةِ حَيَائِهِ (صلى الله عليه وسلم) (4/1810) حديث رقم (2321). والبخاري كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) (3/1305) حديث رقم (3366).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآدب، باب تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ (4/1980) حديث رقم (2553).

3 -أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة، 1415ه، (6/139) حديث رقم (6026). (حسنه الألباني).

4- انظر: أهداف التنمية المستدامة، 02/09/2024، www.undp.org/ar/arab-states.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- بناء اقتصاد المدينة في العهد النبوي هو نموذج عملي وواقعي قائم على عمارة الأرض ويعكس مضمون التنمية المستدامة بالمفهوم المعاصر، هذا النموذج نحن بحاجة للاقتداء به والأخذ بمقوماته لبناء اقتصاديات مستدامة معاصرة، لقد مست التوجيهات النبوية في هذا النموذج كل جوانب الحياة الإنسانية بما يضمن سعادته وانتظام أموره واستقامة أحواله، ففي السنة النبوية الشريفة أحاديث كثيرة تحث على الاهتمام بكافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية، ففي المجال الزراعي، نجد عدة أحاديث نبوية تشجيع على الزراعة وتحث عليها، وتوجيه السلوك الاقتصادي للأفراد والجماعات للإسهام في تحقق الاكتفاء الذاتي، وفي المجال الصناعي كان لتعاليم النبي ﷺ في مفهوم العمل أثر واضح في نفوس المسلمين وسلوكهم، فأقبلوا على أنواع الصناعات والحرف يتقنونها، وفي مجال التجارة استطاع المهاجرون الأوائل من المسلمين استغلال خبراتهم التجارية السابقة وتمكنوا من الاستفادة من الإمكانيات المتوفرة في أسواق المدينة، وفي مجال الأعمال الصغيرة نجد في السنة النبوية إشارة واضحة إلى التوجه للاستثمار في المشروعات الصغيرة.

- الأهمية الكبيرة للتنمية المستدامة جعلتها تأخذ أهمية كبيرة ومكانة بارزة في برامج الدول الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية، باعتبارها توجها معاصرا ونمطا تنمويا مستحدثا قائما على تحقيق تنمية ورفاه للأجيال الحالية، دون المساس بحق الأجيال القادمة في العيش الكريم والتنمية.

- الهدي النبوي تضمن توجيهات تتعلق بجوانب حياة الأفراد والجماعات، سواء اقتصادية، أو اجتماعية أو علمية أو بيئية أو روحية، وما تحويه من مبادئ رفيعة، سيكون لها الأثر المباشر وغير المباشر على تحقيق التنمية المستدامة، من حيث التزام الأفراد والمؤسسات والحكومات ببذل الجهد للقيام بمتطلبات تحقيق التنمية المستدامة، والاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية، وغيرها من الآثار الإيجابية التي تحقق التوازن بين تلبية احتياجات الحاضر، دون المساس بحقوق الأجيال القادمة.

- يوجد في السنة النبوية أحاديث كثيرة أسست لقيم إنسانية تتسم بالربانية والشمولية والتوازن، وتتميز بالثراء والتعدد والتنوع، وهي تضبط سلوك الإنسان وتوجهه بمجموعة من المبادئ والأخلاق التي تدعوه إلى بذل الجهد، ومراعاة صالح العمل، والأمانة، وعدم التبذير، وغيرها من القيم التي سيكون لها دور في الوصول إلى تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وخاصة إن كان هناك وعي وإدراك بأهمية استثمار هذه القيم بما يسهم في تحسين حياة الإنسان دون الإضرار بالنظم البيئية، وذلك عن طريق توجيه السلوك الإنساني للأخذ بهذه القيم في أنشطته الإنتاجية والتجارية، وأنماطه الاستهلاكية، ومسؤولياته الاجتماعية.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: مصادر السنة النبوية:

- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت. د. ت.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، المحقق/ أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- سنن ابن ماجه، لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت. د. ت.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- سنن الدارقطني، لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، المحقق/ عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، 1966م.
- سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، المحقق/ فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ.
- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، المحقق/ محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ.
- سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1986م.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ.
- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المحقق/ مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق/ شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1420هـ.
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 2009م.
- المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ.

ثالثًا: المصادر والكتب العلمية:

- أثر القيم على السلوك الإداري بين الفكر الإسلامي والفكر الوضعي -دراسة مقارنة-، لحناشي لعلي بن صالح، عمان، دار اليازوري، ط1، 2014م.
- أصول معايير التكاليف في الإسلام، لحسين شحاتة، مطبوعات جامعة الأزهر، القاهرة، 1405هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف، ناصر الدين البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
- بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، لعبد الشافي محمد عبد اللطيف، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1429هـ.
- بعض المبادئ التي تحكم الإدارة العامة في الإسلام وقائع الندوة رقم 31: الإدارة في الإسلام، لمحمد رأفت عثمان، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، ط1، 1416هـ.
- الخراج، لأبي يوسف الأنصاري، المحقق/ طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن مُحَمَّد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د. ت.
- دراسات في تاريخ العرب والدولة العربية، لعبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، مصر، ط1، 1971م.
- دور القيم في نجاح البنوك الإسلامية، لمحمد جلال سليمان صادق، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، القاهرة، ط1، 1417هـ.

- دولة الرسول ﷺ في المدينة، لمحمد ممدوح العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1988م.
- دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين، لكامل سلامة الدقس، دار عمار، الأردن، ط2، 1415هـ.
- زاد المعاد في هذي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ.
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري، دار صادر، بيروت، د. ت.
- العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري الإسلامي والمعاصر، لمحمد بن عايد المشاوية الدوسري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1426هـ.
- القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، لصالح بن غانم السدلان، دار بلنسية، الرياض، ط1، 1417هـ.
- القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي، لأحمد يوسف، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1410هـ.
- قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، لمجموعة مؤلفين، منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1393هـ.
- المبادئ والقيم الإسلامية في المعاملات المالية، لعز الدين محمد خوجة، مجموعة دلة البركة، جدة، 1414هـ.
- الوسطية الاقتصادية في الإسلام، لرفعت السيد العوضي، دار السلام، القاهرة، ط1، 1434هـ.

رابعًا: الرسائل العلمية:

- التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام، لسحر يوسف القواسمي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 1491هـ.
- توجهات إدارية في ضوء سورة البقرة، لمحمد بن حسن مسفر الغامدي، رسالة

ماجستير "غير منشورة"، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1420هـ.

- الدور التنموي للبنوك الإسلامية دراسة نظرية تطبيقية 1980 - 2000، لجميل أحمد، أطروحة دكتوراه «غير منشورة»، جامعة الجزائر، 2006م.
- مجتمع المدينة في عهد النبي ﷺ، لعبد الله ابن إدريس، رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1981م.
- يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، لسامي أبو زهري، رسالة ماجستير "غير منشورة"، الجامعة الإسلامية، عزة، 1424هـ.

خامسًا: الأبحاث والمقالات:

- إدارة الأعمال الصغيرة وتمويلها من منظور السنة النبوية، لأسامة عبد المجيد العاني، مجلة اسرا الدولية للمالية الإسلامية، ماليزيا، م7/ع1، 2016م.
- الإدارة العامة في العهد النبوي المفهوم والنشأة والمهام، لفيصل أحمد عابد شعيبي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد والإدارة، جدة، م18/ع1، 1425هـ
- الاستطاعة في الشريعة الإسلامية. تحديد وتأصيل، لقاسم على سعد، الإمارات العربية المتحدة، الجامعة القاسمية. مجلة الجامعة القاسمية للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، م1/ع1، 2021م.
- النشاط الاقتصادي لليهود بالحجاز في الجاهلية وفي عصر الرسول ﷺ، لرياض أحمد شاهين، غزة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، م12/ع2، 2004م.

سادسًا: مواقع الإنترنت:

- www.undp.org
- www.un.org
- www.un.org